

مغامرات السندباد البحري

الرحلة الخامسة

تأليف: قاسم بن مهني

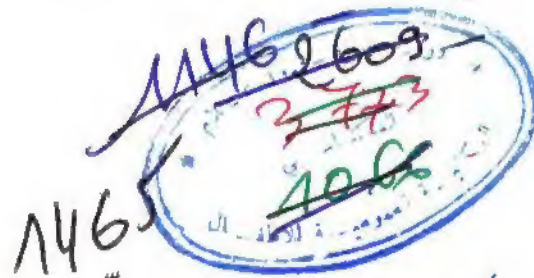


مكتبة الخضراء للأطفال



مغامرات السندباد البحري

الطبعة الخامسة



تأليف: قاسم بن مهني
رسوم: المنصف الكاتب
خطوط: المنجي عمار



الطبعة الأولى: ١٩٨٥



جميع الحقوق محفوظة للناس



وَلَمَّا حَضَرَ الْحَمَالُ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ قَالَ لَهُ السِّنْدُبَادُ الْبَحْرِيُّ:
وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ عَاوَدَنِي الشَّوْقُ إِلَى السَّفَرِ، وَالتَّفَرُّجِ فِي الْبُلْدَانِ
الْقَرِيبَةِ وَالْبَعِيدَةِ، وَالتَّجَوُّلِ فِي الْجُزُرِ الْكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَةِ،
وَالْإِطْلَاعِ عَلَى أَحْوَالِ النَّاسِ، فَأَسْتَأْجَرْتُ مَلَّاحِينَ
وَرُبَّانًا، وَأَشْتَرَيْتُ سَفِينَةً كَبِيرَةً، أَمَرْتُ الْحَمَالِينَ
بِشَحْنِهَا بِالْبَضَائِعِ النَّفِيسَةِ، وَالسِّلَعِ الثَّمِينَةِ، وَالْأَزْوَادِ
الْوَفِيرَةِ، ثُمَّ أَمْتَطَيْتُهَا مَعَ عَدَدٍ مِنَ الشُّجَّارِ، فَسَارَتْ بِنَا عَلَى
بَرَكَاتِ اللَّهِ، تَمُخِرُ عِبَابَ الْبَحْرِ، وَنَحْنُ عَلَى ظَهْرِهَا
نَتَأَمَّلُ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ الْعَجِيبَةِ الْغَرِيبَةِ، وَكُلَّمَا أَنْتَهَيْنَا
إِلَى جَزِيرَةٍ أَوْ مَرْفَأٍ، أَلْقَى الْبَحَّارَةُ الْمَرَّاسِي، وَعَرَضْنَا
السِّلَعَ، وَأَشْتَرَيْنَا الْبَضَائِعَ.

بَعْدَ سَفَرٍ طَوِيلٍ قَطَعْنَا خِلَالَهُ الْبُرُورَ وَالْبُحُورَ،
إِنْتَهَيْنَا إِلَى جَزِيرَةٍ جَرْدَاءَ، فَطَوَى الرُّبَّانُ وَالْبَحَّارَةُ
الْأَشْرَعَةَ، وَرَمَوْا الْمَرَّاسِي، عِنْدَيْهِ بَادَرَفَرِيْقُ مِنَ
الشُّجَّارِ بِالنُّزُولِ إِلَى الْبَرِّ، ثُمَّ تَبِعَهُمُ الْبَاقُونَ. أَمَّا أَنَا
فَقَضَّيْتُ الْبَقَاءَ عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ، أَنْظُرُ إِلَى أَعْمَاقِ
الْبَحْرِ تَارَةً، وَإِلَى الْجَزِيرَةِ أُخْرَى، وَاتَّحَدَّثْتُ مَعَ
الْمَلَّاحِينَ ثَالِثَةً، وَإِنِّي لَكَذَلِكَ إِذَا جَاءَنِي أَحَدُ
الشُّجَّارِ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْمُقْفِرَةِ، وَقَالَ لِي:

- تَعَالَ مَعِيَ لِشَرِّ الْعَجَبِ!

- أَيْ عَجَبٍ تَعْنِي؟

- لَقَدْ عَثَرْنَا عَلَى بَيْضَةٍ كَبِيرَةٍ الْحَجْمِ، ظَنَنَّاهَا

قُبَّةَ أَوَّلِ الْأَمْرِ .
- مَا هِيَ إِلَّا بَيْضَةُ الرِّيحِ .
- أَتَعْرِفُهَا ؟

- لَقَدْ رَأَيْتُهَا عَدِيدَ الْمَرَّاتِ .
وَأَنْصَرَفْتُ أَجْرِي إِلَى الْجَزِيرَةِ ، فَوَجَدْتُ التُّجَّارَ
قَدْ كَسَرُوا الْبَيْضَةَ ، وَأَخْرَجُوا مِنْهَا الْفَرَخَ ، وَشَرَعُوا
فِي قَطْعِ لَحْمِهِ ، فَقُلْتُ لَهُمْ فِرْعًا مَرْعُوبًا ،
- كَفَى مَا صَنَعْتُمْ ، لَقَدْ هَلَكْتُمْ وَأَهْلَكْتُمْ .
فَشَخَصْتُ فِي عِيُونِهِمْ ، وَقَالُوا لِي مُتَسَائِلِينَ :
- مِمَّ تَحْذَرُنَا ؟

- مِنْ الرِّيحِ وَهُوَ مُنْتَقِمٌ مِنْكُمْ لَا مَحَالَةَ !
- أَلَا نَنَّا كَسَرْنَا بَيْضَتَهُ ؟
- نَعَمْ ، وَبَادِرُوا بِرُكُوبِ السَّفِينَةِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَكُمْ .
فَأَسْرَعَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْمَرْكَبِ ، وَظَلَّ الْآخَرُونَ
وَاقِفِينَ حَذَوِ الْبَيْضَةِ الْمُهَشَّمَةِ ، يَنْظُرُونَ إِلَى الْفَرَخِ
الْعَظِيمِ ، وَإِنَّهُمْ لَكَذَلِكَ إِذْ اخْتَفَتْ عَنْهُمْ الشَّمْسُ
وَسَمِعُوا حَفِيفًا كَدَوِيَّ الرَّعْدِ ، فَرَفَعُوا أَنْظَارَهُمْ
إِلَى السَّمَاءِ ، فَأَبْصَرُوا الرِّيحَ قَادِمًا إِلَى بَيْضَتِهِ ،
فَأَمْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِالرُّعْبِ ، وَازْتَعَدَّتْ مَفَاصِلُهُمْ مِنْ
شِدَّةِ الْخَوْفِ ، وَهَرَعُوا إِلَى السَّفِينَةِ .

بَادَرَ الرُّبَّانُ وَالْبَحَّارَةُ بِنَشْرِ الْأَشْرَعَةِ ، وَرَفَعَ
الْمَرَّاسِي ، فَسَارَتِ السَّفِينَةُ تَدْفَعُهَا الرِّيحُ ،



وَالْتَأَمُّوا نَفْسَهُمْ لَئِنْ نَظَرُوا
عَنْ تَوَقُّعِهِمْ خَجَوْا شَرًّا لِبَانِبِ
حَوْمِ الرِّيحِ فَوْقَ بَيْضَتِهِ الْمَكْسَرَةِ، ثُمَّ طَارَ
فِي الْحَوِّ، وَلَمَّا اخْتَفَى عَنِ الْأَبْصَارِ، تَنَفَّسَ
الرُّكَّابُ الصُّعْدَاءُ وَآيَقَنُوا بِالسَّلَامَةِ، وَأَنْغَمَسُوا فِي
الْحَدِيثِ، وَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ رَأَوْهُ قَادِمًا مَعَ أَنْثَاهُ،
يَحْمِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَخْرَةً كَبِيرَةً بَيْنَ مَخَالِبِهِ.
تَحَوَّلَ أَمِنْ الْمُسَافِرِينَ إِلَى خَوْفٍ، وَفَرَحُهُمْ
إِلَى حُزْنٍ، وَأَخَذُوا يَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَهُمْ مِنْ
شَرِّ هَذَيْنِ الطَّائِرَيْنِ، وَقَدْ نَدِمُوا شَدِيدَ النَّدَمِ
عَلَى تَكْسِيرِ هَذِهِ الْبَيْضَةِ الْمَشْهُورَةِ.

ظَلَّ الطَّائِرَانِ الْعَظِيمَانِ يَفْتَفِيَانِ أَثَرَ السَّفِينَةِ،
وَلَمَّا أَصْبَحَ الذَّكْرُ فَوْقَهَا، أَلْقَى الصَّخْرَةَ مِنْ أُرْتِفَاعِ
شَاهِقٍ، إِلَّا أَنَّهَا لِحُسْنِ الْحِظِّ وَقَعَتْ حَدُّو السَّفِينَةِ
لَا عَلَيْهَا، فَأُرْتَفَعَتْ أَمْوَاجُ كَالْجِبَالِ، أَخَذَتْ تَتَلَاَعِبُ
بِهَا، حَتَّى كَادَتْ تُغْرِقُهَا فِي الْيَمِّ، فَصَاحَ بَعْضُ
الرُّكَّابِ، وَرَفَعَ آخَرُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالْدُّعَاءِ. وَفَجْأَةً
رَمَتْ الْأُنْثَى الصَّخْرَةَ مِنْ بَيْنِ مَخَالِبِهَا، فَوَقَعَتْ
عَلَى الْجُزْءِ الْأَخِيرِ مِنَ السَّفِينَةِ، فَتَهَشَّمَ عَلَى
الْفُورِ، وَسُرَعَانَ مَا دَاهَمْتَنَا الْمَيَاهُ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ،
فَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ حَتَّى غَرِقَتِ السَّفِينَةُ، وَغَاصَتِ
الْبَضَائِعُ وَهَوَى كَثِيرٌ مِنَ الرُّكَّابِ إِلَى أَعْمَاقِ
الْبَحْرِ.

أَخَذْتُ أَسْبَحُ تَارَةً عَلَى صَدْرِي، وَأُخْرَى عَلَى
ظَهْرِي، وَلَمَّا وَجَدْتُ خَشْبَةً أَمَامِي، تَعَلَّقْتُ بِهَا، فَأَخَذْتُ
تَسِيرُ لِي حَيْثُ لَا أَذْرِي، وَبَعْدَ سَاعَاتٍ أَنْتَهَيْتُ
لِي إِلَى الْبَرِّ، فَأَسْتَلَقَيْتُ عَلَى الرِّمَالِ الْهَيْئَةَ لِشِدَّةِ
الْعَنَاءِ وَالتَّعَبِ، وَلَمَّا أَسْتَعَدْتُ شَيْئًا مِنْ نَشَاطِي
جَلَسْتُ أَنْظُرُ إِلَى كُلِّ الْجِهَاتِ، ثُمَّ قُمْتُ وَسِرْتُ
عَلَى الشَّاطِئِ بُغْيَةً أَكْثَشَافِ الْمَكَانِ الَّذِي
سَاقَتْنِي إِلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ.

كُنْتُ أَسِيرُ وَأَنْظُرُ حَوْلِي، فَتَبَيَّنَ لِي أَنَّ بِي
وَسَطَ جَزِيرَةٍ يَانِعَةٍ الْأَشْجَارِ، مُتَدَفِّقَةٍ الْأَنْهَارِ،



الكاتب

كَثِيرَةَ الْأَطْيَارِ، فَشَعَرْتُ بِنَفْعٍ مِنَ الْأُظْمِئْنَانِ،
وَهَدُوءِ الْبَالِ، وَأَخَذْتُ أَقْطِفُ الثَّمَارَ الْيَانِعَةَ،
وَأَشْرَبُ الْمِيَاءَ الْعَذْبَةَ. وَلَمَّا فَرَعْتُ مِنَ الْأَكْلِ،
تَمَدَّدْتُ عَلَى الرِّمَالِ النَّاعِمَةِ، فَأَخَذَنِي النُّعَاسُ
وَأَسْتَغْرَقْتُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، لَمْ أَفُوقْ مِنْهُ إِلَّا
بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ.

بَعْدَ مَا غَسَلْتُ أَظْرَافِي، قَصَدْتُ إِحْدَى الْأَشْجَارِ
الْمُثْمِرَةِ، وَتَنَاوَلْتُ مِنْ ثَمَارِهَا الشَّهِيَّةِ حَتَّى شَبِعْتُ،
ثُمَّ سَرْتُ أَتَجَوَّلُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ، أَنْصَبْتُ إِلَى تَغْرِيدِ
الْأَطْيَارِ، وَلَمَّا أَنْتَهَيْتُ إِلَى غَدِيرٍ صَافٍ، مَاوَّهُ
كَالْجَيْنِ، أَبْصَرْتُ شَيْخًا جَالِسًا عَلَى ضَفَّتِهِ، فَشَعَرْتُ

يَا لَأُنْسٍ ، وَزَالَ مَا كَانَ فِي نَفْسِي مِنَ الْوَحْشَةِ .
دَنَوْتُ مِنَ الشَّيْخِ ، فَإِذَا هُوَ مَلِيحُ الْوَجْهِ ، يَرْتَدِي إِزَارًا
مَصْنُوعًا مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ ، فَبَادَرْتُ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ
عَلَيَّ التَّحِيَّةَ بِالْإِيمَاءِ ، وَلَمَّا سَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ ، وَعَنْ سَبَبِ جُلُوسِهِ
فِي هَذَا الْمَكَانِ ، هَزَّ رَأْسَهُ مُتَأَسِّفًا ، وَأَشَارَ إِلَى رِجْلَيْهِ إِشَارَةً
خَاصَّةً ، فَهَمَمْتُ مِنْهَا أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ ، وَيَرْجُوَنِي
أَنْ أَحْمِلَهُ عَلَى كَتِفِي .

رَقَّ قَلْبِي لِحَالِ هَذَا الشَّيْخِ ، وَتَحَمَّسْتُ لِمُسَاعَدَتِهِ رَفْقًا
بِهِ ، وَرَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ ، وَرَغْبَةً فِي مُرَافَقَتِهِ ، فَحَمَلْتُهُ عَلَى
كَتِفِي ، وَأَخَذْتُ أَتَنَقَّلُ بِهِ فِي أَرْجَاءِ الْجَزِيرَةِ حَيْثُ يَرْغَبُ ، كَانَ
نَارَةً يُشِيرُ عَلَيَّ بِالسَّيْرِ قُرْبَ النَّهْرِ ، وَأُخْرَى عَلَى الشَّاطِئِ ، وَثَالِثَةً
بَيْنَ الْأَشْجَارِ ، وَلَمَّا أَرَهَقَنِي التَّعَبُ ، أَرَدْتُ أَنْ أَضَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ
إِلَّا أَنَّهُ لَفَّ رِجْلَيْهِ حَوْلَ رَقَبَتِي ، وَتَشَبَّثَ بِي تَشَبُّثَ الْغَرِيقِ بِمُنْقِذِهِ .
وَقَفْتُ حَائِرًا ، أَفَكِّرُ فِي مَا يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَصْنَعَهُ لِأَتَخَلَّصَ
مِنْ هَذَا الشَّيْخِ ، فَوَقَعَتْ عَيْنَايَ مُصَادَفَةً عَلَى رِجْلَيْهِ ، فَإِذَا هُمَا
سَوْدَاوَانِ كَسَافِي جَامُوسٍ ، يُغَطِّيهِمَا شَعْرٌ أَسْوَدُ كَثِيفٌ ،
فَدَاخَلَنِي الْخَوْفُ وَالْأَرْتِبَالُ وَالتَّعَجُّبُ . لَكِنْ سُرِعَانَ
مَا تَمَالَكْتُ ، وَأَسْتَجْمَعْتُ قُورَايَ ، وَهَمَمْتُ بِالْقَائِدِ عَلَى
الْأَرْضِ فِي مُنْتَهَى الْقَسْوَةِ وَالْعُنْفِ ، إِلَّا أَنَّهُ أُرْدَادَ تَعَلُّقًا
بِرَقَبَتِي ، وَأَخَذَ يَضْغَطُ عَلَيْهَا بِرِجْلَيْهِ ، فَضَاقَ تَنَفُّسِي
وَجَحَظْتُ عَيْنَايَ ، وَكَادَ يُغْمَى عَلَيَّ .

لَمْ يَرْحَمْنِي الشَّيْخُ ، وَلَمْ يَغْبَأْ بِحَالِي ، بَلْ أَخَذَ يَضْرِبُنِي



بِكِلْتَا يَدَيْهِ، وَيُشِيرُ عَلَيَّ بِالسَّيْرِ صَوْبَ الْغَابَةِ، فَأَنْصَعْتُ
لِأَمْرِهِ، وَمَشَيْتُ مُتَنَاوِلًا بَيْنَ الْأَشْجَارِ، وَهُوَ عَلَى
ظَهْرِي، يَقْطِفُ شَهِيَّ الثَّمَارِ، وَيَتَنَاوَلُهَا، وَكَلَّمَا مَرَرْنَا
بِعَيْنِ جَارِيَةٍ أَوْ قَفْنِي، وَأَمَرَنِي بِالْبُرُوكِ لِيَرْتَوِيَ
مِنَ الْمَاءِ الْعَذِيبِ.

انْقَضَى النَّهَارُ، وَجَزُءٌ مِنَ اللَّيْلِ، وَالشَّيْخُ عَلَى ظَهْرِي،
يُوجِّهُنِي حَيْثُ شَاءَ كَأَحْمَارٍ، وَيَضْرِبُنِي فِي مُنْتَهَى الْقَسْوَةِ
وَالْغِلْظَةِ، وَلَمَّا حَانَ وَقْتُ نَوْمِهِ، لَفَّ رِجْلَيْهِ لِفَاعِنِيْفًا
حَوْلَ رَقَبَتِي، حَتَّى كَادَ يَخْنُقُنِي، وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، فَأَخَذَتْهُ
سِنَّةٌ مِنَ النَّوْمِ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ اسْتَيْقَظَ، فَضَرَبَنِي
وَأَخَذَ يَسُوقُنِي فِي مَعَابِرِ الْجَزِيرَةِ.

كَانَ الشَّيْخُ لَا يُفَارِقُ ظَهْرِي فِي اللَّيْلِ، وَلَا فِي
النَّهَارِ، وَلَا يَتَوَرَّعُ عَنِ التَّبَوُّلِ وَالتَّغَوُّطِ فَوْقَ رَقَبَتِي وَجِسْمِي،
فَكَرِهْتُ نَفْسِي، وَأَمْتَلَأْتُ قَلْبِي بِالْغَمِّ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْتَسْلِمَ
لِلْأُحْزَانِ، وَأَخَذْتُ أَفَكِّرُ فِي التَّخَلُّصِ بِطَرِيقَةٍ أَوْ أُخْرَى،
مِنْ هَذَا الشَّرِيرِ الَّذِي سَيُهْلِكُنِي إِنْ بَقِيَ عَلَى عَاتِقِي.

بَقِيتُ مُنْغَمِسًا فِي التَّفَكِيرِ بَعْضَ الْوَقْتِ، وَلَمَّا رَأَيْتُ
عَنَاقِيدَ الْعِنَبِ تَتَدَلَّى بَيْنَ الْأَغْصَانِ، التَّمَعْتُ عَيْنَايَ
بِنُورِ الظُّفْرِ، وَأَخَذْتُ أَجْمَعُ الْيَقِطِينَ الْجَافَّ، وَأَنْظَفُهُ
مِنَ الدَّاخِلِ فَإِذَا هُوَ كَالْأَوَانِي، ثُمَّ قَطَفْتُ الْعِنَبَ وَعَصَرْتُهُ
فِيهَا، وَتَرَكْتُ الْعَصِيرَ يَخْتَمِرُ، ثُمَّ قَدَّمْتُهُ لِلشَّيْخِ، وَأَنَا أَرْغَبُهُ
فِي شُرْبِهِ قَائِلًا: هَذَا دَوَاءٌ نَافِعٌ، يُقَوِّى الْقَلْبَ،

وَيَشْرَحُ الصَّدْرَ:

أَخَذَ الشَّيْخُ يَنْظُرُ فِي الْأَوَانِي، ثُمَّ أَشَارَ إِلَيَّ بِأَنِّ أَنْأُولَهُ
إِخْدَاهَا، فَقَدَّمْتُهَا إِلَيْهِ مُسْرِعًا، فَعَبَّ مَا فِيهَا عَبًّا، وَطَلَبَ
الْمَزِيدَ، فَجَعَلْتُ أَسْقِيهِ، وَلَمَّا دَارَتْ أَلْخَمَرُ فِي رَأْسِهِ،
أَخَذَ يَرْقُصُ فَوْقَ ظَهْرِي، فَتَنَفَّسْتُ الصُّعْدَاءَ، وَصِرْتُ
لَا أَنْتَظِرُ إِلَّا الْفُرْصَةَ السَّائِحَةَ، فَمَا أَنِ أَحَسَسْتُ بِأَنَّ عَضَلَاتِهِ
قَدْ أُرْتَحَتْ حَتَّى رَمَيْتُهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَأُنْصَرَفْتُ أَجْرِي
إِلَى السَّاحِلِ لَا أَجُورُ بِنَفْسِي.

مَا كِدْتُ أَنْتَهِيَ إِلَى الشَّاطِئِ، حَتَّى أَبْصَرْتُ سَفِينَةً
تَتَهَادَى عَلَى صَفْحَةِ الْمَاءِ، فَزَعْتُ عِمَامَتِي وَأَخَذْتُ
الْوُحَّ بِهَا فِي الْفَضَاءِ، وَلَمَّا رَأَيْتُ السَّفِينَةَ تَتَّجُهُ نَحْوِي
كِدْتُ أَطِيرُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَجِ، وَحَمِدْتُ اللَّهَ الَّذِي
خَلَّصَنِي مِنْ شَرِّ هَذَا الشَّيْخِ الْغَرِيبِ.

إِمْتَطَيْتُ السَّفِينَةَ مِنْ شَرِّ الصَّدْرِ، وَسَلَّمْتُ عَلَى
الرُّكَّابِ، فَرَدُّوا عَلَيَّ التَّحِيَّةَ، ثُمَّ سَأَلُونِي عَنْ قِصَّتِي،
فَرَوَيْتُهَا لَهُمْ، فَقَالَ لِي الرُّبَّانُ:

- لَقَدْ كَانَتْ نَجَاتُكَ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْخِ أُعْجُوبَةً!

- لِمَ؟

- مَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ إِلَّا شَيْخُ الْبَحْرِ، لَمْ يَنْجُ أَحَدٌ

وَقَعَ فِي قَيْضَتِهِ.

- لَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ الَّذِي خَلَّصَنِي مِنْ شَرِّهِ.

وَجَلَسْتُ فِي مَكَانٍ أُشْرِفُ مِنْهُ عَلَى الْبَحْرِ.

كَانَ الْيَوْمُ صَحْوًا جَمِيلًا ، وَالْبَحْرُ هَادِثًا لَطِيفًا ،
وَالْمَوْجُ سَاكِتًا خَفِيفًا ، وَالنَّسِيمُ نَقِيًّا عَلِيلًا ، يَدْفَعُ السَّفِينَةَ
فِي رَفْقٍ وَلِينٍ ، وَالرُّكَّابُ عَلَى ظَهْرِهَا يُنْشِدُونَ الْأَشْعَارَ ،
وَيَزُورُونَ الْفُكَاهَاتِ وَالنَّوَادِرَ . أَمَا أَنَا فَكُنْتُ أَتأملُ تَارَةً
الْأَفُقَ الْبَعِيدَ ، حَيْثُ أَلْتَحَمَتِ زُرْقَةُ السَّمَاءِ بِزُرْقَةِ الْمَاءِ ،
وَطَوَّرًا أَمْعُ النَّظَرِ فِي الْأَسْمَاكِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ
وَالْأَحْجَامِ ، وَفِي الْحَيْتَانِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي تَتَزَاكَمُ أَحْيَانًا
حَوْلَ السَّفِينَةِ ، وَتَسْبَحُ حَيْثَا وَرَاءَهَا أَوْ أَمَامَهَا ، أَوْ عَنْ
يَمِينِهَا وَيَسَارِهَا .

مَلَأَتْ هَذِهِ الْمَشَاهِدُ قَلْبِي بِالْبَهْجَةِ ، وَأَنْسَتْنِي مَا
لَقِيتُ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْمَصَائِبِ ، وَوَدَدْتُ لَوْ أَنَّ الرِّحْلَةَ
تَتَوَاصَلُ عَلَى هَذَا النَّسَقِ مِنَ الْأَمْنِ وَالرَّخَاءِ .
بَعْدَ أُسْبُوعٍ نَزَلْنَا بِجَزِيرَةِ الْقُرُودِ ، وَهِيَ جَزِيرَةٌ كَبِيرَةٌ
وَاسِعَةٌ ، بِهَا سُهُولٌ فَيْسِحَةٌ شَاسِعَةٌ ، وَجِبَالٌ مُمْتَدَّةٌ بَاسِقَةٌ ،
وَأُودِيَّةٌ خَصِيبَةٌ ، وَأَنْهَارٌ غَزِيرَةٌ ، وَالْغَرِيبُ فِي الْأَمْرِ أَنَّ كُلَّ
مَسَاكِينِهَا وَبَنَاتِهَا شَيَّدَتْ عَلَى السَّاحِلِ ، تَكَادُ تَصِلُ
إِلَيْهَا مِيَاهُ الْبَحْرِ ، وَلَمَّا سَأَلْتُ عَنْ سِرِّ هَذَا الْأَمْرِ ،
قِيلَ لِي : لَا يَبِيتُ النَّاسُ فِي مَنَازِلِهِمْ خَوْفًا مِنَ الْقُرُودِ ،
بَلْ يَنْصَرِفُونَ إِلَى الْبَحْرِ بَعْدَ الْغُرُوبِ ، وَيَنَامُونَ فِي
السُّفُنِ وَالْمَرَائِبِ ، وَعِنْدَ مَا تُشْرِقُ الشَّمْسُ عَلَى الْكَوْنِ ،
يَنْتَشِرُونَ فِي الْأَرْضِ لِكَسْبِ الرِّزْقِ .
بَعْدَ مَا طُفْتُ بِأَرْجَاءِ الْجَزِيرَةِ ، وَتَجَوَّلْتُ فِي شَوَارِعِ

الْمَدِينَةِ الْوَحِيدَةِ، عُدْتُ إِلَى الْمِينَاءِ، وَقَدْ مَالَتِ الشَّمْسُ
إِلَى الْغُرُوبِ، فَلَمْ أَجِدِ السَّفِينَةَ وَلَمْ أَرَ أَحَدًا مِنَ الرُّكَّابِ،
فَأَمْتَلَأَ قَلْبِي مِنْ جَدِيدٍ بِالْحُزْنِ، وَضَاقَ صَدْرِي، وَتَخَذَلْتُ
رِجْلَايَ عَنْ حَمْلِي، فَهَوَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ، أَنْدُبُ حَظِي وَالْيَوْمِ
نَفْسِي عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْمَرْكَبِ، وَأَقُولُ فِي سِرِّي: كَأَنِّي
لَمْ أُخْلَقْ إِلَّا لِلْمَصَائِبِ، فَكُلَّمَا خَرَجْتُ مِنْ كَارِثَةٍ، وَقَعْتُ
فِي مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهَا.

وَبَيْنَمَا أَنَا حَائِرٌ فِي أَمْرِي إِذْ وَقَفَ أَمَامِي أَحَدُ سُكَّانِ
الْجَزِيرَةِ، وَبَادَرَنِي بِالتَّحِيَّةِ، ثُمَّ قَالَ لِي:
- يَبْدُو أَنَّكَ غَرِيبٌ يَا أَخِي.
- فَعَلَا أَنَا كَمَا تَوَقَّعْتَ يَا سَيِّدِي.
- قُمْ مَعِي، وَإِلَّا هَجَمْتُ عَلَيْكَ قُرُودُ الْجَبَلِ.
- إِلَى أَيْنَ؟
- إِلَى مَرْكَبِي لِنَبِيَّتٍ فِيهِ.

وَجَذَبَنِي مِنْ يَدَيَّ، وَسَاعَدَنِي عَلَى الْوُقُوفِ، فَسَرْتُ
إِلَى جَانِبِهِ أَتَثَاقُلُ فِي مَشْيِي، وَمَا إِنَّا حَلَلْنَا بِالْمَرْكَبِ حَتَّى
أَشَارَ إِلَيَّ بِالْجُلُوسِ، وَجَاءَنِي بِطَعَامٍ شَهِيٍّ، وَأَخَذَ يُرَغِّبُنِي
فِي الْأَكْلِ.

وَبَعْدَ مَا أَكَلْنَا هَنِيئًا، وَشَرَبْنَا مَرِيئًا، تَسَامَرْنَا جُزْءًا مِنَ
الَّيْلِ، ثُمَّ اسْتَلَقَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا عَلَى فِرَاشِهِ، فَمَا هِيَ إِلَّا هُنَيْهَةٌ
حَتَّى اسْتَغْرَقْتُ فِي نَوْمٍ قَطَعَتْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَخْلَامِ الْمُزْعِجَةِ،
وَلَمَّا قُمْتُ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ، قَدَّمَ لِي مُضَيِّفِي الْفُطُورَ، ثُمَّ

قَالَ لِي :
- أَتُتَقِنُ صَنْعَةً يَا أَخِي ؟
- لَا أَجِيدُ إِلَّا التَّجَارَةَ .

فَتَبَسَّه وَقَالَ :
- لَقَدْ ضَمِنْتَ لِنَفْسِكَ أَرْبَاحًا طَائِلَةً ، وَالْعُودَةَ إِلَى بَلَدِكَ سَالِمًا .
فَنَزَلْتُ عَلَى كَلِمَاتِهِ بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَمَلَأْتُ قَلْبِي أَنْشِرَاحًا ،
وَسَأَلْتُهُ قَائِلًا :

- أَلَاكَ سَفِينَةٌ عَلَى وَشِكِ الْإِبْهَارِ ؟
- لَا .

- فَلِمَ بَشَّرْتَنِي بِالرِّبْحِ الْوَفِيرِ ، وَالْإِيَابِ الْقَرِيبِ ؟
- لِأَنِّي سَأَعْلِمُكَ حِرْفَةً تُكْسِبُكَ مَالًا وَفِيرًا .
وَسَلَّمَنِي مَخْلَاةً وَقَالَ لِي :

- تَعَالَ مَعِي .

وَسَارَ لِي خَارِجَ الْمَدِينَةِ ، فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى
أَنْتَهَيْتُنَا إِلَى وَادٍ فَيَسِيحٍ ، وَجَدْنَا فِيهِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ،
يَجْمَعُونَ الْحَصَى ، وَيَضْعُونَهَا فِي الْمَخَالِي الْمُعَلَّقَةِ فِي
أَكْتَافِهِمْ ، فَدَعَا مُضَيِّفِي بَعْضُهُمْ ، وَقَالَ لَهُمْ وَهُوَ
يُشِيرُ إِلَيَّ :

- هَذَا ضَيْفُنَا ، سَاعِدُوهُ عَلَى الْكَسْبِ الْوَفِيرِ ، لِيَعُودَ إِلَى أَهْلِهِ

فِي الْقَرِيبِ .
فَأَجَابُوهُ عَلَى الْفَوْرِ :
- سَنُؤَثِّرُهُ عَلَى أَنْفُسِنَا .

- هَذَا مَا تَوَقَّعْتُهُ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْكَرَمَاءُ.
وَوَدَّعَنِي وَأَنْصَرَفَ. عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لِي أَحَدُ الرِّفَاقِ:
- اِمْلَأْ مِخْلَافَكَ بِالْحِجَارَةِ وَالْحَصَى.

فَأَمْتَنْتُ لِأَمْرِهِ، وَأَنَا لَا أَعْرِفُ الْهَدَفَ مِنْ هَذَا الْعَمَلِ،
وَكُلَّمَا هَمَمْتُ أَنْ أَسْتَوْضِحَ أَحَدَهُمْ، غَلَبَنِي الْحَيَاءُ، وَلَمَّا
أَمْتَلَأْتُ الْمِخْلَافَ بِالْحِجَارَةِ وَالْحَصَى، سَرْنَا كُلُّنَا إِلَى وَادٍ
أَفْسَحَ، تَكَثَّرَ بِهِ أَشْجَارٌ ضَارِبَةٌ فِي السَّمَاءِ، تُشْبِهُ النَّخِيلَ،
إِلَّا أَنَّ أَرْتِفَاعَهَا أَشَدُّ، وَجَدُّوعَهَا أَدْقَى، وَهِيَ جِدُّ مَلَسَاءُ،
يَضَعُوبُ تَسْلُقُهَا.

مَا كِدْنَا نَسِيرُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَشْجَارِ إِلَّا خَطَوَاتٍ، حَتَّى رَأَيْنَا
قَطِيعًا مِنَ الْقُرُودِ رَوَّعَهَا مَجِيئُنَا، فَتَسَلَّقَتْ الْأَشْجَارَ فِي سُرْعَةٍ

مُدْهِشَةٍ، عِنْدَ ذَلِكَ وَقَفَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنَّا حَذَوْ شَجَرَةٍ، وَشَرَعَ يَرْمِي الْقُرْدَ
الْجَالِسَ فِي أَغْلَاهَا بِالْحِجَارَةِ، فَيَرُدُّ
عَلَيْهِ بِالْقَاءِ الثَّمَارِ، أَخَذْتُ إِحْدَاهَا
فَإِذَا هِيَ جَوْزَةٌ أَلْهِنْدِي، فَقُلْتُ فِي سِرِّي:
« حَقًّا سَيَكْسِبُنِي هَذَا الْعَمَلُ
كَثِيرًا مِنَ الْمَالِ: وَتَحَمَّسْتُ لَهُ
كُلَّ التَّحَمُّسِ. فَمَا هِيَ إِلَّا
سَاعَاتٌ حَتَّى جَمَعْتُ كَمِيَّةً كَبِيرَةً
مِنْ هَذِهِ الثَّمَارِ، أَخَذْتُهَا إِلَى
الْمِينَاءِ، وَبِعْتُهَا إِلَى التُّجَّارِ.



دَأْبْتُ عَلَى هَذَا النَّشَاطِ بِضَعَةِ أَيَّامٍ، وَلَمَّا وَقَرْتُ
 مَبْلَغًا هَامًّا مِنَ الْمَالِ، جَمَعْتُ كَثِيرًا مِنْ جَوَازِ الْهِنْدِ،
 وَشَحَنْتُهُ فِي سَفِينَةٍ أَكْثَرِيَّتُهَا، وَسَرْتُ إِلَى بَعْضِ الْجُزُرِ، فَبِعْتُهُ
 فَوْرَ وُصُولِي بِأَبْهَظِ الْأَثْمَانِ، وَأَبْتَعْتُ مِنَ الْجَزِيرَةِ كَثِيرًا
 مِنَ الْبَضَائِعِ النَّفِيسَةِ، وَالسِّلَعِ الثَّمِينَةِ، وَسَرْتُ عَائِدًا إِلَى
 بَلَدِي، يَهْزُنِي الشَّوْقُ لِلِقَاءِ الْأَهْلِ وَالْخِلَانِ. وَلَمَّا
 مَرَرْتُ بِمَغَاصَاتِ اللُّؤْلُؤِ، اسْتَأْجَرْتُ بَعْضَ الْغَوَاصِينَ
 الْمَاهِرِينَ، فَأَخْرَجُوا لِي الْكَثِيرَ مِنْ هَذِهِ الْحِجَارَةِ الثَّمِينَةِ،
 فَأَزْدَادَتْ ثَرَوَتِي، وَتَعَاطَمَتْ فَرَحَتِي، وَلَمَّا حَلَلْتُ
 بِبَغْدَادَ وَجَدْتُ أَهْلِي يَنْتَظِرُونَ عَوْدَتِي عَلَى أَحَرِّ
 مِنَ الْجَمْرِ.

أَقَمْتُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ وَالْخِلَانِ،
 أَتَنَعَّمُ بِمَا أَفَاضَ عَلَيَّ اللَّهُ مِنْ نِعَمِهِ الْوَافِرَةِ، وَقَدْ أَسْتَنْيَ
 حَيَاةَ الرِّخَاءِ وَالْمَوَدَّةِ، مَا لَا قِيَّتُهُ مِنْ مَخَاطِرَ وَمَشَاكِلَ
 أَثْنَاءَ هَذِهِ الرِّحْلَةِ.

2608
 1146
 11465

مكتبة تونيس الخضراء للأطفال

صدر ضمن هذه السلسلة

- | | |
|-----------------------|--|
| 11 - خبزة الأبناء | 1 - مغامرات السندباد البحري : الرحلة الأولى - |
| 12 - الفيل ، براتاب | 2 - مغامرات السندباد البحري : الرحلة الثانية - |
| 13 - الدينصور الصغير | 3 - مغامرات السندباد البحري : الرحلة الثالثة - |
| 14 - الراعي الطروب | 4 - مغامرات السندباد البحري : الرحلة الرابعة - |
| 15 - الصياد الصغير | 5 - مغامرات السندباد البحري : الرحلة الخامسة - |
| 16 - من حكم الشيخ | 6 - مغامرات السندباد البحري : الرحلة السادسة - |
| 17 - من أدوار جحا | 7 - مغامرات السندباد البحري : الرحلة السابعة - |
| 18 - الفيل الصغير | 8 - الوزير والتاجر |
| 19 - شبح رجل مفقود | 9 - صرة الجواهر |
| 20 - لغز الخيط الأحمر | 10 - بدران ويونان |